هواعلي

قيمة الأعمال في صفاء النيّات لا في ظواهرها

كيف ننظر إلى جمال عاشوراء لا إلى قبحها؟

شرح دعاء أبي حمزة الثمالي - سنة ١٤٢٢ هـ -

الجلسة السابعة

محاضرة القاها

آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني

دره الله سرّه

@MadrastAlwahy

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

وصلَّى اللهُ على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسمِ محمدٍ

وعلى آلهِ الطيّبينَ الطاهرينَ

واللعنةُ على أعدائهم أجمعينَ

ما هو الرجاء المذموم؟

«وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِلرَّاجِينَ بِمَوْضِعِ إِجَابَةٍ، وَلِلْمُلِحِّينَ بِمَرْصَدِ إِغَاثَةٍ» إلهي، إنّي أعلمُ أنّ الذين يرجونكَ لا يعودونَ خائبين، وأنّ رجاءَهم يتحقّق، وأنّكَ خيرُ ملجأٍ ومَغيثٍ للذين استولى عليهم اليأسُ وعَرَضَ لوجوهِهم الانكسار.

لقد أشرتَ في الليالي الماضية إلى أنّ للرجاء والأملِ في قضاءِ الحوائجِ صوراً مختلفة. فهناكَ الرجاء

َدرّجمالدينابمورأبُدوصقملاالمعلّقبأمورالدينا؛ وليس

بل ،المظاهريّ والتمتّعِ بمظاهرِ العالمِ والأموالِ جمع

أن يتحقّق على المقصودُ هو كلُّ طلبٍ وكلُّ مأمولٍ يُرادُ له

رضا الله، وعلى خلاف سنّة النبيّة؛ كأن يطلبَ

الإنسانُ من الله أن يقضيَ على شخصٍ ما، أو أن يطلبَ

من الله أن يُنزلَ البلاءَ والمرضَ بشخصٍ ما، أو أن

يطلبَ من الله أن يوفّقَ شخصاً ما، أو أن يطلبَ من الله

يفشلَ أفرادٌ في بعض المراتب.. هذه كلّها أعدية وآمالٌ

ذاتُ صبغةٍ شيطانيّةٍ ونفسانيّة.

وبطبيعة الحال، فإنّ الله تعالى ـ الذي لا تربطه

بالناس علاقةُ قرابةٍ شخصيّة، وعنايتُه بمخلوقاته هي

عنايةٌ علّيّة، وعنايةٌ تربويّةٌ، وهي عناية الخالق بجميع

مخلوقاته ـ لا يمكنه أن يحقّق هذه الآمال، ولا يمكنُ أن

يترتّبَ أثرًا على هذه الأدعية؛ لأنّه تعالى حكيمٌ، وهذا

الرجاءُ والأملُ رجاءٌ غيرُ حكيم، والفعلُ والعملُ غيرُ

الحكيمِ لا يصدرُ عن الحكيم؛ هذا من جهة.

ومن جهةٍ أخرى، فإنّ هذا الأملَ وهذا الرجاءَ، لمّا كان يدورُ على خلاف مصالح الإنسان، ومنبعثًا من هواه وخصائصه النفسانيّة، فإنّ له صبغة الكدورة، وتلك الصبغةُ الكدّرةُ لا يمكنُ أن تكونَ ممضاةً من قبل الله تعالى.

الفرق بين "العمل" و"النيّة"

إنّ نفسَ العملِ موضوعٌ، ورغبة الإنسانِ في هذا العملِ موضوعٌ آخر. فأن ينجحَ الإنسانُ في قضيّةٍ أو يفشل، هذه مسألة. ففي النهاية، حينما يتبارى شخصانِ في أيّة واقعة، فإنّ أحدَهما سيفوزُ والآخرُ سينهزم، وهذه مسألةٌ بديهيّة. وعندما يُقدم الإنسانُ على أمرٍ ما، فإمّا أن يوفّقَ فيه أو لا يوفّق، وهذا أمرٌ بديهيٌّ. وحينما يُقدمُ الإنسانُ على مهنةٍ ما، فإمّا أن ينجحَ فيها أو لا ينجح، وهذا أمرٌ بديهيٌّ. أي إنّ كلا الجانبين قد أُدرجا في نظام الخلق: النجاحُ في مهنةٍ ما وعدمُ النجاح فيها. فالأمرُ سهلٌ جدًّا، وليست هذه مسألةً تستدعي السؤال. فالإنسانُ يريدُ أن يأتي ليشتري شيئًا من السوق، فإمّا أن يجدهُ في

لـاجم لاو ٌةيهيدبٌرومأ اهّلكه ذهو ،هدجيـ لا وأ قوسلا
.اهيفمـلاكللا

ولكن في بعض الأحيان، نريدُ نحنُ ألاّ يوجدَ أمرٌ ما، ونريدُ ألاّ يوفّقَ الشخصُ في العملِ الذي يشرعُ فيه، ونريدُه ألاّ يصلَ إلى نتيجةٍ في المسألةِ التي يتابعها؛ أي إنّ هذه النقطةَ كامنةٌ في نيّتنا، وهي ألاّ يتمَّ هذا الأمرُ لذلك الشخص. كأن يريدُ أن يُقدمَ على زواج، فنقول: «إن شاء الله لا يتمّ هذا الزواج»، حيث تكون لدينا معه عداوةٌ وخصومة، فنقول: «إن شاء الله لا يوفّق، وترفضه الفتاة». أو نقول مثلاً بالنسبة لهذه الفتاة، «إن شاء الله لا تجدُ زوجًا مناسبًا»، لأنّ العائلتينِ مثلاً ليستا على وفاقٍ تامٍّ. أو يريدُ أحدهم أن يشتغلَ بعملٍ ما، والإنسانُ له معه مشكلة، فنقول: «إن شاء الله يرتطمُ رأسُهُ بالحجر، ويتحوّلُ ما يلمسُهُ من ذهبٍ إلى رماد»، وكلام من هذا القبيل. أو يريدُ أن يدرس، فنقول: «إن شاء الله لا يوفّقُ في هذه الدراسة ويرسب».

هذا اللطلبُ وهذه اللينةُ ذيةٌ شيطانيةٌ ونيةٌ بغيضةٌ، وهذا الهوى وهذه الإرادةُ إرادةٌ بغيضةٌ ووقحةٌ. أما نفسُ ذلك العملِ، ففي النهايةِ إما أن يتمّ أو لا يتمّ، ونفسُ العملِ لا إشكالَ فيه. النيةُ هي التي تُفسدُ العملَ. والعجيبُ أنّه قد أُشيرَ إلى هذه المسألةِ في آياتِ القرآنِ الكريمِ، وهي آياتٌ في سورةِ الفرقانِ جاءَ فيها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا * يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[1]. أو مثلاً، الآيةُ التي تتحدّثُ عن الميزانِ والكيلِ والعلاقاتِ والكذبِ وغيرِها، وبعدَ كلّ ذلك يقولُ اللهُ تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا﴾ فهذا الموضوعُ جديرٌ بالانتباهِ جدًّا. انظروا، تارةً يُقالُ إنّ العملَ الفلانيَّ مكروهٌ؛ فالزنا مكروهٌ، قتلُ النفسِ المحترمةِ مكروهٌ، والسرقةُ مكروهةٌ، والكذبُ مكروهٌ، والبهتانُ مكروهٌ. فتارةً، نطرحُ الأمرَ بهذا النحوِ، وتارةً أخرى، نقولُ: إنّ «قُبحَ»

---

1. سورة الفرقان (٢٥) الآيتان ٦٨ و٦٩.

ُّكو ،لمعلا سُفن لا ،الله دنعُهوركملا و هِلمعلا اذه
.ةطقنلا هذهلوحرُوديمِلاكلا

حبُقو ةداهشلا نسُحم هفذ فيك :ءاروشاع ةيضق ؟لعفلا

فما هي حقيقة قتلِ النفس؟ هل قتلُ النفسِ مكروهٌ أم لا؟ القتل، أن يُقتَل، أن يُقتَل مؤمنٌ، هل قَتْلُ مؤمنٍ بصفته مؤمنًا أمرٌ سيّئ؟ أقصدُ نفسَ القتلِ بحدّ ذاته. من كان لدينا في هذه الدنيا أفضلُ من الإمامِ الحسين عليه السلام؟ لم يكن هناك من هو أفضلُ من الإمامِ الحسين عليه السلام، أليس كذلك؟ كان إمامًا، وابنَ النبيّ صلّى الله عليه وآله، وإمامًا، وله كلّ تلك المقامات؛ فهل كان نفسُ مقتلِ الإمامِ الحسين عليه السلام أمرًا سيّئًا؟ لو كان سيّئًا، فلماذا قدّرهُ الله؟ لماذا قدّرهُ الله؟ يعني نفسُ القتل، لماذا كان يجبُ أن يُقتَل الإمامُ الحسين عليه السلام؟ هذا ظلمٌ. فقد يقولُ الإمامُ الحسين عليه السلام: «أريدُ أن أبقى حيًّا، أريدُ أن أبقى حيًّا لأصلّي وأدعو وتزداد مراتبي ودرجاتي». وكما نقول نحن: ندعو لنغرسَ شجرةً في الجنّة، ونقرأ سورة الإخلاص مرّةً فنغرس شجرة. هناك بعض

الأعمال التي يقال إنّها غرسُ أشجار، وبعضها بناءُ قصور، وبعضها جنّاتٌ تجري... خلاصة القول، هناك الكثيرُ من الأعمال التي يُمكن للإنسان أن يقوم بها ويُعمّر بها آخرته. أجل، «العاقلُ تكفيه الإشارة»، فالعملُ كثير. وطبعًا، هناك بعض الأعمال التي لا ينبغي لنا أن نقوم بها فنُخرّبَ ما بنيناه. كأن نضعَ قنبلةً أو ديناميتًا فينهدمَ البناء، هل تلتفتون؟ أو أن تأتي صاعقةٌ فتحرقَ كلّ الأشجار. بغيبةٍ واحدةٍ منّا تحترقُ كلُّ الأشجار، وبنيّةٍ غيرِ لائقةٍ تجاه أخٍ مؤمنٍ ينهارُ البناء. كلّ هذه الأمورِ موجودةٌ، وقد أُثبتت هذه المسألةُ نقلاً وشهودًا.

قد يقولُ الإمامُ الحسين عليه السلام: «أريدُ أن أبقى في هذه الدنيا كالبقيّة، ما مشكلتي؟». ألم يعش إمامُ الزمانِ عليه السلام الآن أكثر من ألف عام؟ لم يقتل أحدٌ إمامَ الزمان عليه السلام. فيقولُ الإمامُ الحسين عليه السلام: «أنا أيضًا أريدُ أن أبقى، وأريدُ أن أعيش ألفَ

عام، أو ألفي عام، وأقولُ لا إله إلا الله باستمرار، وأعبدُ اللهَ دائمًا، فتزدادُ مراتبي بطبيعة الحال».

فهل كان نفسُ مقتلِ سيّد الشهداء عليه السلام سيّئًا؟! هل كان هو بحدّ ذاته سيّئًا؟ كلّا! من يقولُ إنّه كان سيّئًا، ولم يكن مقتلُ سيّد الشهداء عليه السلام في مصلحته، فلماذا حدث؟ لماذا كان يجبُ أن يحدث؟ لقد قال سيّدُ الشهداء عليه السلام بهذا المقتلِ مراتبَ لم يكن لينالها حين لم يُقتل. هو ذا معنى العبارة التي قالها عليه السلام: «إِنَّ لَكَ مَنْزِلَةً لَا تَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ» رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله في المنام[1]. لديكَ درجةٌ عند الله يا بُنيّ. يأتي النبيُّ صلّى الله عليه وآله في منام الإمامِ ويقول: «يا بنيّ! لديك درجةٌ عند الله لن تبلغَها إلاّ بالشهادة».

1: ٣٢٨ ص، ٤٤ ج، راوندي، الخرائج.

«حبيبي يا حسين كأنّي أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحًا بأرض كرب وبلاء، من عصابة من أمّتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إنّ أباك وأمّك وأخاك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلاّ بالشهادة».

ولـ ؟ةيّسيدُ ةداهشلا هذه نَوكت نأ نُكمي لهف ،اًنسحـ
ةقيقح ام ،نذإ .ةلزنملا هذه ىلإ لوصولتهـ ُ ،ًةيّسيدُ تناكـ
ةداهشلا هذه ؟اًدجُ ةدّيجـ اهّنإ ،اًدجُ ةعئار اهّنإ !فشهادةُ يّسدّ
،اهتكربب اًعيمجـ ُش يعنـ ي تلا ،مالسلا هيلع ءادهشلا
َةايحلا ُ دصقأ لا ؛ءادهشلا دّيس ةداهشلـ ُ ةنيدم انُتايحو
،انوّمنو ،ةّيونعملا انُتايحـ ل بـ ،ءيش لا ةّيداملا !فاملاديّةـ
،ءادهشلا دّيسـ ِةعيشـ ُ لماكتو ،ةعيشلا ُ لماكتو ،انُلماكتو
لامكلا ىلإ نولصيـ ن ذيلا ُ كو .ةداهشلا هذه لضفبـ ةّكل
نيسحلا ِماملإا ةكربب نولصيـ ن امّنإ ،نافرعلاو ءافلاو
اذه لهـ .اًدبأ ةلأسملا هذه ي فـ ّكشـ لاو ،مالسلا هيلع
!؟حضاو

إذن، فنفسُ شهادةِ سيّد الشهداء عليه السلام في حدّ ذاتها هي عينُ المصلحة، وعينُ الحقّ، وعينُ الواقع، وعينُ الكمال، وعينُ اللطف، وعينُ... ألسنا نقرأ أنّه في يوم عاشوراء، لمّا رأت الملائكة ـ وهم متفاوتون في إدراك مراتب فعليّة البشر، وخاصّة الإمام، وبالأخصّ سيّد الشهداء عليه السلام، فهم ناقصون من هذه الجهة ـ

تلك الأوضاعَ وذلك الحال، خاطبوا اللهَ وقالوا: «إلهنا، ما هذا الذي يجري؟ هذا أفضلُ خلقك!». فقال لهم: «انظروا». فنظروا، فأراهم اللهُ لمحةً يسيرةً وذرّةً ممّا أعطاه لسيّد الشهداء عليه السلام بواسطة هذه الشهادة، فطأطؤوا جميعًا رؤوسهم. هل هذا واضح؟! ثمّ يُباهي اللهُ تعالى به ويقول: «يا ملائكتي، انظروا إلى عبدي هذا كيف يقدّمُ كلَّ كيانه في سبيلي ويُفني كلَّ شيءٍ فيّ». إنّ اللهَ يفاخرُ الملائكةَ بشهادة سيّد الشهداء عليه السلام ويقولُ لهم: «تعالوا وانظروا ماذا يفعل».

ُةداهشو!؟حضاو اذهل هـ.ةّيسيتسلُةداهشلافن،إذ ،ةّيلكاملا هبترام ُنيع يه مالسلا هيلع ءادهشلا دّيس ملا رعلا هظمفلتخم يفديحوتلا تاروهظم يعمجُقُّقحتو .ءاروشاع مويةّيضق يه هذه..ةرثكلا

؟ءاروشاع يف حبُقلا نمكن ألي

حُبقلا نكان ألي ؟نإذ ةّيضقلا هذه يفيّسلا نكان اذامف تنك ؟ءاروشاع مويي فُةحاقولا تنك ن ألي ؟اهيف نكتلف .دعسِنب رَمعِةّين ىلإ ،مهتّاين ىلإ ُدوعتُةحاقولا

لاف ،مالسلا هيلع نيسحلا َماملإا َتلتق ولـ ىّتح ،الله كتّيز
.رملأا يفّ رلا كِلمَةّيز لخدُت لا !الله كُتّيزن كتلن كل ،سأب
ل اق امك ،اهنيحو ؛رُملأا َدسَف ،رلا كِلمَةّيز تَلخدأ اذإف
ٍةدحاوٍ حمقَبحىّتحـ لنتانلحـ ،مالسلا هيلع نيسحلا ُماملإا
.رلا كِلمَةّيز حمقن مٌبيصن لكـ لف ،ب هذا .هنم

كان عمرُ بنُ سعد قد أخذ صكًّا بأنّه سيُعطى مُلك الريّ ـ أي طهران الحالية، مع أنّ طهران كانت قريةً آنذاك، وكانت الريّ الحالية واسعة جدًّا ـ إذا قتلَ الإمامَ الحسين عليه السلام. ويُنقل أنّ طولَ وعرضَ مدينةِ الريّ هذه كان يبلغ آنذاك فرسخين في فرسخين على الأقلّ، أو أكثر. فلمّا جاء إلى ابنِ زياد وقال له: «عليك الوفاءُ بالعهد، لقد قتلتُ ابنَ بنتِ النبيّ، فأعطني مُلكَ الريّ»، قال له ابنُ زياد: «هل أنا أمرتُك بذلك؟ من قال؟ متى قلتُ لك؟». قال: «لقد أعطيتني صكًّا بخطّ يدك». قال: «أعطني هذا الصكّ لأرى». فأخذه ومزّقه ورماه جانبًا وقال: «من أمرك بذلك؟». هذا كلّ ما في الأمر! مزّقه أمام عينيه.. هل التفتّم؟!

حسنًا أيّها الأحمق، إنّ الإمامَ الحسين عليه السلام يرى هذا التمزيق، ويرى أنّك ستأتي وتُريه هذا الصكّ، فيمزّقه هو ويرميه في سلّة المهملات؛ لأنّ تمزيقه ليس بالأمر الصعب. أو حتّى لو لم يمزّقه، لقال له: «لن أعطيك، فما عساك أن تفعل الآن؟». الإمامُ يرى ذلك.

!ةئيسنلاب دقتنلا عاضأ فيك :دعسن بر رمع ةّصق

والعجيبُ هنا أنّ عمر بن سعد قال للإمامِ الحسين عليه السلام: «لا أتركُ النقدَ وآخذُ النسيئة»، حيث قال له الإمام عليه السلام: «تعالَ، أنا أضمنُ لك الجنّة». فيأتي هذا الجاهلُ ويقول: «إنّ جنّتك هذه نسيئة». فما يقوله الإمامُ الحسين عليه السلام نسيئة، وأمّا ما يقوله ابنُ زياد ـ الذي كان في حالة سُكرٍ، ولا يُعلَم أكان مخمورًا أم نائمًا أم مستيقظًا أم واعيًا ـ بأنّه سيعطيه مُلكَ الريّ يصبحُ هو النقد!

ىلعي ه ،ةلماجمنودبو ،ةداسلا اهّيأ ،انرييامعمُّكـ انلّدبو ،ةئيسنلاو ِدقنلا َعضاوم انرّيغ دقل .وحنلا اذه هيلع نيسحلا ُمامإلا ُلوقي .لبقتسملاو ِلاحلا َنكاماً

كيدك فقّ في يضعها «الجنّة» فيه :السلام
رّخأتي نأ نود نم ،ةظحلا هذه في اهّيإ كيطعُي ،نآلا
ةًدحاو ةًنيثا .فعندما يقول: «الجنّة لك» يعني أنّ الأمر
،امأ صخشٍ بَصيبي نأ بدّ لا ءاقشلا نّأ لكنو ،!ىهتنا واّمتـ
يأتي فإنّه ،صٍ مَخشلا ضَرعي نأ بدّ لا نَارسخلاو
مِاظنلا ىلع سيئر مكحُ يضرتفي ،ةمئيسلا مِاسلا
ابِ زيادً ،رمقلاو يزاجلا رمخلا بِارش ،مرحيّ
!ةبترعي ؟هلعفي اذام ،بلاكلا

حسنًا، تفضّل الآن واذهب إلى نقدك. مزّقَ الصكَّ ورماه أمامه، وقال له: «اذهب الآن حيثما شئت». فجُنّ ذلك الرجل، وفقد عقله، حيث كان يذهب إلى بيته ثمّ إلى الحمّام، ثمّ يخرج من الحمّام ويعود إلى بيته، ثمّ يخرج من بيته ويعود إلى الحمّام، يفعل ذلك عدّة مرّات في اليوم.. لقد جُنّ! وبقي على هذا الحال إلى زمن المختار حينما ثار، فأرسل من قتله في منزله.

الوجهان المتباينان لكربلاء

هذه الينبوعُ الباطلةُ جعلت واقعةَ كربلاء تكتسبُ صورتين ووجهين: وجهٌ قبيحٌ، بشعٌ، كريه، فاجعٌ مؤلم. لماذا؟ بسبب هذه الينابيعِ الخبيثة التي أتت، فوضعت الرحمنَ موضعَ الشيطان، والشيطانَ موضعَ الرحمن، وجعلت يزيد خليفةً، وأزاحت الخليفةَ المستحقَّ والمحقَّ الذي هو سيّدُ الشهداء عليه السلام.

كان يزيدُ رجلاً مريباً للكلاب ومقامراً. كان يزيدُ مقامراً ولاعبَ شطرنج. قال الإمامُ السجّاد عليه السلام:

«لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ نَظَرَ إِلَى الشِّطْرَنْجِ وَلَمْ يَلْعَنْ يَزِيدَ»[1]

نعم، يبدو أنّ الأمر قد اختلف الآن!! كان مريباً للقرود، وكان يجلسُ بجانبه قرد. بالله عليكم، انظروا من الذي

1: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٢ و ٢٣.

عن الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «لمّا حُمل رأس الحسين (عليه السلام) إلى الشام، أمر يزيد (لعنه الله) فوضع ونُصبت عليه مائدة، فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقّاع، فلما فرغوا أمر بالرأس فوُضع في طست تحت سريره، وبُسط عليه رقعة الشطرنج، وجلس يزيد (عليه اللعنة) يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجده (صلوات الله عليهم) ويستهزئ بذكرهم، فمتى قمر صاحبه تناول الفقّاع فشربه ثلاث مرات، ثمّ صبّ فضلته ممّا يلي الطست من الأرض. فمن كان من شيعتنا فليتورّع عن شرب الفقّاع واللعب بالشطرنج، ومن نظر إلى الفقّاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين (عليه السلام) وليلعن يزيد وآل زياد، يمحو الله عز وجل بذلك ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم».

ذهب ومن الذي حلّ محلّه؟ ذاك ذبيحُ الله الذي كان يشيرُ إلى القمرِ فينشقُّ نصفين[1]، وشهدت بحقّه الحصى والأحجار[2]، وغير ذلك! ذهب هو، وجلس مكانه من يلعبُ معه قرد! حقًّا، إنّنا نتعجّب، إنّه لأمرٌ عجيبٌ حقًّا، حفظَ اللهُ الإنسان! فهؤلاء العُجول الذين كانوا بجانب يزيد، أكانوا يسمّون أنفسهم مسلمين أم لا؟ حسنًا، اذهب وقل صراحةً: «يا سيّدي، ليس لديّ دين» فلماذا تقولُ: «نحن مسلمون»؟! لماذا تقول: «نحن نصلّي ونصوم»؟! ماذا؟! كلُّ هذا الصومِ والصلاةِ كان للتغطيةِ على النفسِ والشعورِ بالسكينةِ الكاذبة. هل تلتفتون لما أريدُ قوله أم لا؟ إنّه شعورٌ بالطمأنينةِ الكاذبةِ في مواجهةِ الحقّ.

1: **بحار الأنوار**، العلّامة المجلسيّ، ج ١٧، ص ٣٥٤

الصدوق بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشقّ القمر﴾ قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى صار بنصفين، ونظر إليه الناس وأعرض أكثرهم، فأنزل الله تعالى جل ذكره ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ﴾ فقال المشركون: سحر القمر، سحر القمر.

2: **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ٤٧

ما رُوي عن أنس أنّه صلى الله عليه وآله أخذ كفًّا من الحصى، فسبّحن في يده، ثمّ صبّهنّ في يد عليّ، فسبّحن في يده حتّى سمعنا التسبيح في أيديهما، ثمّ صبّهنّ في أيدينا فما سبّحت في أيدينا.

فهؤلاء أيضاً لديهم مضيرٌ، ويزيد، ويزيدون أنّ هذا الخمرَ كالماء، كأنّهم شاربُ السكنجبين، فيشربه بشرابٍ مستمر.

- لا أعرف ما طعمه؟ هل لدى أحدٍ من الرفاق علمٌ بذلك؟

- إنّه مُرّ.

- ماذا يا سيّدي؟ نعم؟

- يقولون إنّه مُرّ.

- حسناً، لعلّكم لم تحصلوا على النوعِ الحلو منه!!

- يقولون إنّهم يأكلون شيئاً حلواً بعده.

- هاه؟ حسناً جداً. كلّ هذا لماذا؟ لكي تتمكّن النفسُ في مواجهةِ الحقيقةِ من أن تضعَ على نفسها ستاراً من الاطمئنانِ الكاذب. فإذا فعلت ذلك، فقد انتصرَ الشيطان، وإذا لم تفعل، فإنّ الأمر سينكشفُ في النهايةِ ويستفيقُ الإنسانُ فيتنبه... ونسألُ الله ألاّ يقعَ الإنسانُ في هذا الاطمئنانِ الكاذبِ الذي لا يعودُ له منه مفرّ.

السالك الميزّف وخطر الاطمئنان الكاذب

هذا الاطمئنانُ الكاذبُ أمرٌ يسيٌّ جدًّا. هذا هو الذي يُعبّرُ عنه بالجهل المركّب، وهذا هو الذي يُعبّرُ عنه بالعناد، وهذا هو الذي يُعبّرُ عنه بالتحجّر والتعصّب. كلّ هذه الأمورِ لا فرقَ فيها بين أن يكونَ الإنسانُ يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مسلمًا أو شيعيًّا أو سالكًا، لا فرقَ أبدًا. السالكُ الميزّف موجودٌ بكثرةٍ لا تُحصى، حيث نجده يضعُ نفسهُ تحتَ ماذا؟ تحتَ الاطمئنانِ الكاذبِ والتحجّرِ الكاذبِ والتعصّبِ الكاذب. تلك الحالةُ من الاطمئنانِ والطمأنينةِ الكاذبةِ تجعلُ أيَّ كلامٍ حقٍّ لا يدخلُ في أذنه، إلى درجة أنّه لو جاء أميرُ المؤمنين عليه السلام لنحّاه جانبًا، نعم، يُنحّيه جانبًا بيدٍ بالتبرير والتأويل، ويُنحّيه جانبًا تمامًا، ويغلقُ على نفسه جميعَ نوافذِ الحقّ. فما حقيقة هذا الاطمئنان؟ إنّه كاذب! ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] فهذه مصيبة، وذلك بأن يضعَ اللهُ الإنسانَ في موقعٍ كاذبٍ بحيث لو جيء بجميع مطارقِ العالَمِ

---

1. ١٨٢. الآية (٧) سورة الأعراف

.قيفتسيـ نأ عاطتسا املـ ،هسأر ىلـع تبرُضو

نانسلإا ىرنف ،بذكلا ِةبترم يفُلوخدلا وهُجاردتسلاا

.هسفنلـ هيضتريٍعقوم يفُعقيّمثـ ،ًائيشفً ائيشُطبهيـ

حسنًا، هذا السيّد عمر بن سعد، ماذا يفعل؟ إنّه يضعُ كلامَ الإمامِ الحسين عليه السلام جانبًا. إذن، ما حقيقة ذلك الجانب من القضيّةِ الذي يمثّلُ قبحَ عاشوراء؟ إنّه النيّاتُ الفاسدة، وقتلُ ابنِ بنتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، والقضاءُ على الحقّ. فلم يُقلّل الإمامُ الحسين عليه السلام من الاستدلال والاحتجاج في يوم عاشوراء، حيث إنّه من الأمور التي قالها عليه السلام في يوم عاشوراء، والتي جعلت الجميعَ يُطأطؤون رؤوسهم ـ لم يخجلوا، بل أنزلوا رؤوسهم ـ قال: «هذه الرسائلُ، وهي أربعةُ آلافِ رسالةٍ الآن، من كتبها لي؟ هل أنا كتبتُ هذه الرسائلَ بخطّ يدي؟ أم أنتم كتبتموها؟». وقال عليه السلام لأحد أصحابه، وهو الصيداويّ: «اذهب وأحضر ذلك الكيس». فجاء وأفرغ تلك الرسائلَ أمام ذلك الجيش.. أربعةُ آلافِ رسالة. أحد هؤلاء هو عبد الله

بن حجرٍ أو أبجر، والذي كان قد جاء مع أربعةِ آلافِ رجلٍ وسدَّ شريعةَ الفرات، حيث كان من بين الذين كتبوا إلى الإمام، فقال له عليه السلام: «يا عبد الله، أو يا عبيد الله، ألستَ أنتَ الذي كتبتَ إليّ؟ والآن تأتي وتقفُ أمام الشريعةِ تمنعنا من شرب الماء؟ ألم تكتب أنتَ إلينا؟ هذه رسالتُك». فماذا قالوا؟ تعالوا أجيبوا، أجيبوا الإمامَ الحسين عليه السلام. فهذه الرسائلُ لم يخترعها الإمامُ الحسين عليه السلام من عنده، بل هي رسائلُهم هم. هل هذا واضح؟!

اذهف .ةنيطلا ِثبخو ِنطابلا ِثبُخُ ةلأسم رُهظت اذه وه اذهو .َةحاقولاو َحبقلا وهُ حبصُيِ ةيضقلا نم بُناجلا ِةرثكلا ىلإ ِتافتلالا ِروظنمن م ءاروشاع ِمويَ ةعجافدعُب مويي فُ ّتّاينلا تناك ثيح ،تارثكلا ِملعلا ِمامتهلااو .ةيناطيشِ ّتّايذاهّلكـ لباقملا بناجلا يفـ ءاروشاع

حسنًا، وماذا عن الجانبِ الآخر؟ جانبُ البهاءِ والبهجةِ والسرورِ والفرحِ والضحكِ والابتهاج. فنجد مسلمُ بنُ عوسجة، في ليلة عاشوراء، يمازحُ للمرّة

الأولى بعد عمرٍ طويل، فيمازحُ هذا وذاك، وكان عمرهُ سبعينَ عامًا. «وهل هذه الليلةُ وقتٌ للمزاح؟ اذهب وصلِّ ركعتين». «يا عزيزي، لقد صلّيتَ صلواتِك كلّها، تعالَ نضحكُ هذه الليلة». أنا أقولُ هذا، ولكنّه كان يقولُ ما معناه: «إذا لم نمزحْ هذه الليلة، فمتى نمزح؟». لقد كان مسلمُ بنُ عوسجة من الأعاظم، ومن شيوخ أصحاب الإمامِ الحسين عليه السلام، حيث قال: «ما شاء الله! ألا تعلمونَ ماذا سيحدثُ غدًا؟ غدًا، بمجرّد أن نُقتَل، سنذهبُ مباشرةً إلى الحور العين». أنا لم أقلْ هذا، هو الذي قاله. ولعلّ كلامهُ هذا كان مزاحًا أيضًا، فهو لم يكن يسعى لهذه الأمور، ولكن، لعلّ هذا المسكينَ لم يكن له حظٌّ كبيرٌ في هذه الدنيا، فقال: «لم نحصلْ على شيءٍ هنا، فلننهضْ ونذهبْ لنرى ما الخبرُ في الجانب الآخر؛ لأنّ الإمام الحسين وعدنا بالكثير من الأشياء!».

كانه نا ،معذ .حزمذ أضيأ نحذ ،لاحـ كـ ى لعـ ،الله ِبـاتكـ ُةولاتو ،ٌنآرقو ،ٌةلاصو ،ٌةجهبو ،ٌرورسـ ،ٌلـلاجو ،ٌةمظعو ،ٌةيناحورو ،ٌرونو ،ٌءاهبو ،ٌةاجانمو

وهيبةٌ، وكبريائيّةُ سيّد الشهداء عليه السلام. فماذا كان كلّ هذا؟ كان هو الجانبُ الآخر من القضيّة. حسنًا، لو كان ذلك التقتُّل في الغد أمرًا قبيحًا، فلماذا جرت كلّ تلك الترتيبات؟ لماذا توجّب أن يكونَ كلّ هذا؟ لماذا حصلت كلّ تلك الأمور؟

وصيّة العارفين: كيف تنظر إلى عاشوراء؟

هذا، يأتي مصداقُ كلامِ المرحوم السيّد الحدّاد فيما يتعلّقُ بهذا الجانبِ من القضيّة. فهو لا شأنَ له بالجانبِ الآخر، بل ينظرُ إلى هذا الجانبِ وهذه النقطة، ويريدُ أن يقول: حينما يريدُ الإنسانُ أن ينظرَ إلى هذه الواقعة، فلماذا لا يوجّهُ نظرهُ فيها إلى الحُسنِ بدلًا من القُبح؟ وأنتَ الذي تريدُ أن تفتحَ عينيك الآن، هناك شخصانِ يجلسان هنا: الإمامُ الحسين عليه السلام في هذا الجانب، وفي الجانب الآخر يجلسُ عمرُ بنُ سعد. فما دامت صورةُ مستدخلٌ إلى عينيك، فلماذا لا تكونُ هي صورةَ الإمامِ الحسين عليه السلام؟ لماذا تكونُ صورةَ عمر بنِ سعد؟ لماذا؟ حينما يُرادُ للإنسانِ أن يلتفت، فلماذا يقومُ

مِاملإا ىلإ تُفتليو ْمقيل ؟دعسِ نِبْ رَمع ىلإ تُفتليو
.ملاسلا هيلعنيسحلا

ةُملاعلا ُموحرملا ناكيقول للناس الذين يأتون إليه ويريدون الذهابَ إلى مكّة... فمن الأمور التي كان يقولها لهم... أتذكّرُ مرّةً كنتُ عنده فسألوه: «يا سيّدنا، أين [قبرُ] أبي بكر وعمر؟». فقال: «أنتَ حين تذهبُ إلى المدينة، لا حاجة لك في الذهاب من أجل عمرَ وأبي بكر، بل اذهب من أجل النبيّ صلّى الله عليه وآله. وأمّا أبو بكر وعمر، فسواءٌ دُفنا في حرم النبيّ أم في البقيع أم رُميا في الصحراء، فما شأنك؟». حين يدخلُ الإنسانُ المسجدَ النبويّ ويدخلُ حرمَ النبيّ صلّى الله عليه وآله، لا ينبغي بتاتًا أن يخطرَ عمرُ بباله، ولا ينبغي أن يخطرَ أبو بكر بباله. فخطورُ أبي بكر وعمر في الذهن أثناء الزيارة ـ وأنا أقول هذا للرفقاء ـ يُفسدُ روحَ الزيارة، ويُفسدُ ذلك الدعاء، وذلك التوجّه. حينما يوفّقُ اللهُ الرفقاء إن شاء تعالى، ويذهبون إلى مكّة والمدينة، وعندما يريدون دخولَ مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله، يجبُ أن

يروا رسولَ اللهِ فقط لا غير. وأمّا أن يرى الإنسان من يرقدُ هناك، ومن هو مستيقظ، فهو أمر لا أساس له! يجبُ على الإنسانِ أن يذهبَ لزيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله وألاّ يخطرَ بباله أبدًا... يشهدُ اللهُ أنّني في كلّ مرّةٍ وفّقني اللهُ فيها للتشرّف بالزيارة، لم يخطرْ ببالي مرّةً واحدةً في المسجد النبويّ أين يرقدُ أبو بكر، لأرى أين قبره، أو أين عمر. أليس من غير اللائق أن يأتي الإنسانُ لزيارة عظيمٍ مثلِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ بدلاً من أن يفكّرَ به، يبدأُ بالتساؤل: «لنرى أين استراح أبو بكر بجانبك؟ وأين فلان؟ وأين قبره؟ وأين عمر؟». كلّ هذه انشغالات تشغلُ الذهن، فينشغلُ هذا الذهنُ بأمورٍ غيرِ واقعيّة وغيرِ حقيقيّة، وتضيعُ تلك الحقيقةُ وتضعفُ وتفقدُ صلابتَها.

مويـ يفـ هـيلإ َتـفتلنـ نأ ُديرـ ذـ يذلا ُعوضوملا اذه نأ ُبـجيـ انّنأ وـ ه ،دّادحلا دّيسلا ِملاكـ لـلاخـ نـم ءاروشاع ىلإ ُرظننو ،ملاسلا هـيلع ءادهشلا دّيسـِةيحضتىلإ َرظننـ ،ملاسلا هـيلع لـضفلا يبأ ِةرضحـ ِةيحضت

تضحيةِ حضرةِ عليّ الأكبر عليه السلام، ننظرُ إلى تضحيةِ هؤلاء الأصحاب، ننظرُ إلى نيّاتهم، ننظرُ إلى أحوالهم، ننظرُ إلى أوضاعهم. وبهذا النظرِ وهذا التوجّه، نتقدّمُ شيئاً فشيئاً، حتّى نشعرَ بأنفسنا في تلك البيئة. أمّا إذا كنّا نُلقي نظرةً إلى الإمامِ الحسين عليه السلام ونظرةً إلى الشمر، ونقول: «آهٍ، هذا الشمرُ فعل كذا وكذا، واظر ماذا فعل! ومن تلك الجهة عمرُ بنُ سعد، ومن تلك الجهة فلان!» إذا كان التوجّهُ إلى هذا وذاك باستمرار، فإنّ نصيبنا من هذه المسألةِ سيكونُ قليلاً.

كيفيّة التعامل مع كلّ من جانبي التبريّ والتولّي

أنا لا أريدُ أن أقول إنّه لا ينبغي للإنسانِ أن يكونَ له جانبُ التبرّي. فمن فروعِ ومبادئ مذهبنا الشيعيّ هو جانبُ التبرّي، وبالتبرّي يستطيعُ الإنسانُ أن يجدَ الطريق. فالشيعةُ لديهم البُعدان معاً: بُعدُ التولّي، أي الارتباط، وبُعد التبرّي، أي بُعد دفع مخالفي أهل البيت عليهم السلام وإبعادهم. ويجبُ أن يوجدَ كلا البُعدين في

الإنسان، ولكن بعد التبرّي يجب أن يكون باطنيًّا، ولا يبغي للنفس أن تلتفت إليه بعد ذلك. فالتبرّي موجود، ولكن أن يأتي الإنسانُ ويقضي ساعاته الواحدة تلو الأخرى ليرى ماذا فعل هذا؟ وماذا قال ذاك؟ وماذا أجاب هذا؟ وماذا قال عمرُ بنُ سعد؟ إنّ السؤال والجواب باقيانِ إلى يوم القيامة. تعال وانظرْ ماذا قال الإمامُ الحسين عليه السلام؟ لننظرْ إلى أجوبةِ سيّد الشهداء عليه السلام، ولننظرْ إلى أسئلةِ وأجوبةِ حضرةِ أبي الفضل عليه السلام، ولننظرْ إلى الكلامِ الذي قالوه والمواضيعِ التي طرحوها. هل هذا واضح؟! إذا أراد الإنسانُ أن يقوّي هذا البُعد في نفسه، فإنّ نفسَه يكون أكبر.

حسنًا، هذا ما يخصّ مسألةُ شهادةِ الإمامِ الحسين عليه السلام. إذن، شهادةُ الإمامِ الحسين عليه السلام وقتلُه في حدّ ذاتهما لا إشكالَ فيهما، بل هما أمرانِ جيّدانِ جدًّا ورائعانِ جدًّا، وتترتّبُ عليهما مسائلُ عظيمة. الشيءُ الفاسدُ هنا هو النيّاتُ التي أوجدت هذه القضيّة،

تلك النيّاتُ فاسدة. تلك النيّاتُ التي دفعت ثلاثينَ ألفَ رجلٍ للنهوضِ ومحاربةِ ابنِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، تلك هي الفاسدة. كلُّ تلك النيّاتِ شيطانيّة، ولولا هذه النيّات، لقال الإمامُ الحسين عليه السلام: «أنا مستعدٌّ أن تقعَ لي هذه القضيّةُ ولو سقطَ حجرٌ من السماء على رأسي». لو لم تكن هذه النيّاتُ موجودة، لقال مثلاً: «كنتُ مستعدًّا أن أسقطَ من على صهوةِ جوادي فأموت، أو أن يصيبني حجر...». إذا كان لا بدّ من الشهادة، فكنتُ مستعدًّا أن تأتي المصائب بطريقةٍ أخرى وبأيّةِ كيفيّةٍ كانت. ففي النهاية، هذا مقامٌ يمنحهُ اللهُ للإمامِ الحسين عليه السلام بواسطة الشهادة: «إِنَّكَ لَتَدْعُو لِمَنْ لا تُرْجَى إِجَابَتُهُ وَلا يُؤْمَنُ بَأْسُهُ». حسنًا، ما دامت هناك شهادة، وليست بهذه الكيفيّة، فلنفترض أنّ جميعَ الناسِ في زمن الإمامِ الحسين عليه السلام أصبحوا صالحين، فسيقول الإمامُ الحسين عليه السلام: «ماذا نفعلُ الآن لنُقتَل؟ ليأتِ أحدٌ ويفعلُ بنا كذا... ماذا نفعل؟ فهؤلاء كلّهم أناسٌ طيّبون». هل هذا واضح؟! ولكن لا؛ لأنّ هذه النيّةُ

صالحةٌ وتلك النيّةُ فاسدة؛ وبسبب تلك النيّةِ الفاسدةِ، يصبحُ هذا العملُ مؤلمًا وموجعًا، وهذه الشهادةُ تصبحُ شهادةً موجعة. لماذا؟ بسبب هذه النيّات.

ةينلاو لمعلا نيبـ حبُقلا

ام، ةّينآرقلا ِتيلآلا ًأقبطو ،ءاروشاع ِةّيضق ،في نذإ، رَيغ ن كاني ذلا و ه ِةداهشُس فذو ه الله دنع ًّأيضرم ن كاني ذلا ؟ةدنعٍّيضرم سيّد الشهداء عليه السلام.. ذلك كان مرضيًّا عند الله، وهذه الشهادةُ تمّ فتاكت أو أصحابه كان عليه السلام الحسين ِماملإا ُ، وهذه الشهادةُ عظيمة، وتترتّب عليها مرات ُ تُنآلا ك تلا ؟ةدنعٍّيضرم رَيغ ن كاني ذلا مامتّ دقت أيضًا ةثيبخلا ةّينايطيشلا ُءارلآا و فُادهلأا ك تلو ،ةدساف او للا.

﴿أَهوُركم كّبِرَ دنِع ُهُّيِسَن اكَ كِلَذ لُّكُ﴾[1]، نذإ. سيّئتُهُ هي المكروهةُ عند ربّك، لا هو نفسه. فنفسُ شهادةِ الإمامِ الحسين عليه السلام لم تكن «عند الله مكروهة»، بل كانت «عند الله محبوبة». كانوا يقتلون الإمامَ الحسين

1. ٣٨ ةيلآا(١٧) ءارسلإا ةروس

عليه السلام، واللهُ في الأعالي يفاخرُ به الملائكة. هكذا هي القضيّة! هكذا نُقل! كانوا يقتلون الإمامَ الحسين عليه السلام، والله تعالى يقول: «تعالوا وانظروا ماذا يفعلُ عبدي؟». ولكن من الجانب الآخر، تلك النيّاتُ «عند الله مكروهة»، تلك الأهدافُ «عند الله مكروهة». ما هو ذلك الهدف؟ إنّه هدفٌ شيطانيّ.

ما هي حقيقة السرقة؟ أنسحب كلّ سرقةٍ على هذا المبدأ؟ هل أخذ المالِ الحلال وهو يُخفي أنّه أخذ المالَ الحرام؛ كأن يُخفي هويّته ويتقنّع بقناعٍ لا يسمح للناس أن يعرفوه، ثمّ يذهب ويسرق؟ هذا ليس سرقة. هذا ليس سرقة. فبدلاً من أن يكون هذا الكلام في كتب الأخلاق، هذه النقطة، هذه النقطة، آخذه وأضعه في هذه الجيوب. هذا ليس سرقة. هل هذا سرقة؟ هذا ليس سرقة. هذا ليس سرقة. بدلاً من أن يكون هذا الكلام في جيبي، أتى إلى جيبي وأخذ المال الحلال، وهو يعلم أنّه لا يحقّ له أخذه، بل هو يعلم أنّ هذا حرام!! فهذا أشدّ من السرقة، أجاز الشارعُ المقدّس بعض الحالات التي تكون فيها هويّة السارق مخفيّة، كما في الحالات التي

لا يَصحّ الشكّ في أنّ المالَ، ولكن لا يجب أن يكون هذا المالُ على حساب حياة الإنسان. فالمالُ وسيلةٌ لتحقيق الحياة، وليس غايةً في حدّ ذاته. وقد ورد في الحديث الشريف: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». فالمالُ يُفسد الإنسان.

الشيءُ الباطلُ في هذه السرقةِ هو نيّةُ السوء والعُدوان، والاعتداء على المال والحقّ.. هذا هو ما يجعلُ السرقةَ مسألةً قبيحة. أمّا إذا كانت النيّةُ صالحة، فلن تكونَ هذه سرقةً بعد ذلك، لكن، بشرط أن تكونَ النيّةُ صالحة؛ أي أن تكونَ مطابقةً لأمر الشرع، ومطابقةً للتكليف، وفي الحالات التي حدّدها الشارع. لا أن يقولَ الإنسانُ من عند نفسه: «ما دامت نيّتنا خيّرة، فلنهاجمْ ونسلبْ ونأخذْ أموالَ الجميع». لا، كلّ هذا باطل.

فالنيّة الصالحة وجودها ضروري، ولكنّ وجودها لوحده غير كافٍ، فلا بدّ أن تُترجَم النيّةُ الصالحة إلى عملٍ صالح، وإلا فإنّ النيّة الصالحة وحدها لا تكفي. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، والمرءُ يُحاسَب على ما يفعل، وليس على ما ينوي.

أنسحـ.﴿أَهورُكم كِّبرَ دَنعِ﴾ ،اهيفِءوسلا بُانجي أ ،﴿هُيِّيَسـ

جدًّا.

هللاخنملانسإلا ُدصقيذلا يِاجرلا ،هذانمو

أنيطلبَ ئيشَ نمأ ،هللا نّإفَ ،ايّهو ذلا يفسن ُهُابنجَ ُدسف

.رملأا

رحسلا كايشلأا ضعبم يرحتّ رس

.رُحسلا ؟مارحُ رحسلا اذاملا .اًبنجَ هلأنّ ،اًينافسنَّ

ةَذوعشلاوا رَحسلا اذهعضوُ ؛اذإفَ ،ةٌعاقوَ ةٌقيقحُ ةذوعشلاوا

،ةحلصملا مسارَ يف ؛هيلإ جاتحي ذإ امأو ؛هيلَ فرصتلا ناكمإ لاف ،ةحلصملا

،ةدسفملا مسارَ يف ،ماحرلا ةمحرلا نيبَ قيرفتلل هيلإ جاتحي ذإ امأو

،ةلئاعلا دارفأ نيبَ قيرفتلل ،ةلصاوملا نيبَ ،نيصخشلا نيبَ ،بلجلا

.سانلل ةشاملا .ةدوجومرمألا هذهل ةيقيقحلا ،ةلّعلا هذهل ًاقحلا ًاعفاد

.ضراغلأا هذهل مدختسُ نأ نكمي .رمألا

نقلَ أحدُهم في مجلسٍ كنّا فيه ـ أتذكّرُ أنّ هذا كان قبل

وقتٍ طويل، ربّما قبل ثلاثينَ عامًا، وهذا الشخصُ قد

توفّي الآن، وكان شيخًا كبيرًا آنذاك ـ فقال: «كان لي أخٌ

ضليعٌ في مسائلِ السحرِ والطلاسمِ والأمورِ العجيبةِ والغريبة. وفي يومٍ من الأيّام، جاءني خبرٌ أنّ أحدَ إخوتي، وكان أكبرَ منّا سنًّا بقليل، قد سقطَ من على سطحِ المنزلِ أثناءَ تنظيفِ الثلجِ وتوفّي. ذهبنا وكنّا في مراسمِ التشييعِ والدفن، فجاءني أخي الآخر، وهو الأصغرُ منّا، وقال: "يا أخي". قلتُ: "ماذا؟". قال: "أتعلمُ أنّني قتلتهُ في النهاية؟". قلتُ: "ماذا؟ أنت قتلته؟". قال: "قلتُ له أعطني مالاً أريدُ أن أفعلَ كذا وكذا، فقال: لن أعطيك. فقلتُ له: إن لم تعطني سأقتلك. فقال: اقتلني. وفي النهاية قتلته". قلتُ: "ماذا فعلتَ أيّها اللعين، يا مُهدّم البيوت؟". كنتُ أعلمُ أنّه يفعلُ مثلَ هذه الأمور. قال: "لا شيء، دخلتُ غرفتي وأغلقتُ البابَ لمدّة أسبوع، وبدأتُ بالأوراد والأذكار والطلاسم، وبعد أسبوع، قتلتهُ في النهاية"». وتبيّن أنّ هذا الرجلَ قد لجأ إلى هذه الأمور، وبعد أن انتهى من عمله، كان ذلك المسكينُ سيّئُ الحظِّ ينظّفُ الثلجَ على سطحِ المنزل، فانزلقت قدمهُ فجأةً وسقطَ على رأسه. وتبيّن أنّ هذا قد دبّر له الأمر. طبعًا،

هو نفسه قال: «بما أنّني قتلته، فسأموتُ أنا أيضًا بعد أسبوع». وقد حدث ذلك. فما هذا العمل؟ إنّه حقًّا جنون! وبعد أسبوعٍ مات هو أيضًا. وقال ذلك الأخُ الذي كان يروي القصّة إنّ أخاهُ الذي فعلَ ذلك قد توفّي.

ما هذا العملُ حقًّا؟ أيُّ فسٍ هذه؟ وأيّةُ نيّةٍ هذه التي تأتي وتقومُ بمثلِ هذه الأعمال؟ هذا هو الشقاءُ بعينه، وتأتي الظلمةُ والكدورةُ بعينه، والحسد.

إنّ علّةَ الحرمةِ هي لهذا السبب. لأنّه يقعُ في أيدي أناسٍ غيرِ صالحين. فلأنّ النفوسَ شيطانيّة، ومختلطةٌ بالوساوسِ الشيطانيّةِ والهوى النفسانيّ، فإنّها تأتي وتستغلُّ هذا الحرصَ استغلالًا سيّئًا وتفسدُ الحياة؛ ولهذا السبب، يُصبحُ حرامًا، حيث وردت تصريحاتٌ في القرآن الكريم بشأن هذه المسألة.

كيف ندعو الله وعدًا صحيحًا؟

في رجاءِ بناءً على هذا، يجبُ أن تكونَ النيّةُ الصالحةُ في أمرِ الإنسانِ وأملِه؛ أي: عندما يكونُ لدى الإنسانِ رجاءٌ في الله، يجبُ عليه أوّلًا أن يُصلحَ نيّته في ذلك

اِلله من يُطلب ذلك الرجاء، قدرَ المستطاع، ثمّ يفوّض أمرَه إليه. أوّلاً أن يجب عليه تلك الرغبة وتلك المسألة. فحصّن نفسه ليرى هل للسائل أعماق نفسه وتفتيش نيّته نفسه ضروريّة أم لا. وعند المريض ـ طبعاً الناس ـ في هذه النيّة المستطاع، قدرَ لا نريد أن نقول... فبعضهم يقول: "يا سيّدي، كيف نصل إلى هذا؟ ما زلنا نشكّ!" ـ لا، قدرَ المستطاع، فكلّ إنسانٍ بالقدر الذي يستطيعه. يُطلب من الله، حينها في تلك المسألة هي فوق عند المريض أن نيّته الاختبار للنية في الدعاء

هذه النيّةُ التي ينويها الإنسانُ الآن، مثلاً لشفاءِ مريض، لا ينبغي له أن يقفَ عند هذه النقطةِ فقط ويريدها بأيِّ نحوٍ وبأيّةِ كيفيّةٍ وبأيِّ شكلٍ كان. لماذا؟ لأنّه قد لا تكونُ مصلحةُ الشفاءِ موجودةً هنا. وإذا أراد الإنسانُ أن يقول: «لا! أنا أريده أن يُشفى»، فإنّ الله سيقولُ له حينئذ: «هل هذه النيّةُ التي لديك بأن يُشفى، تريدها له أم تريدها لنفسك؟». هنا يُكشفُ أمرُ الإنسان.

إذا كانت مصلحتهُ في الرحيل، فهل تبقى تطلبُ له الشفاءَ من الله أم لا؟ هنا، يجبُ على الإنسانِ أن يختبرَ نفسه؛ وذلك إذا كانت المصلحةُ في الرحيل. أم أنّك تريده لنفسك؟ لماذا تريده لنفسك؟ لأنّك حيٌّ في هذه الدنيا. قل لي، لو كنتَ أنتَ في ذلك العالمِ ورحلتَ من هذه الدنيا ونظرتَ من ذلك العالمِ إلى هذه الدنيا ورأيتَ هذا المريض، فهل كنتَ ستطلبُ من اللهِ أيضًا أن يشفيه؟ أم لا؟ كنتَ ستريده أن يأتي إليك. إذن، من الواضح أنّك تريده أن يكونَ معك. لو قيل لك: «يا سيّدي، مريضُك سيُشفى، ولكنّك أنتَ ستموتُ غدًا». لقلتَ: «آه، وما الفائدةُ لنا في ذلك؟». ما الذي حدث؟ «نحنُ نشفي مريضَك، ولكن على حضرتك أن تشرّفَنا بالرحيل غدًا». فيقول: «حسنًا يا إلهي، أنتَ أعلمُ بالمصلحة، الأمرُ بيدك». كيف لم تقلْ هذا حتّى الآن؟! لماذا لم تقلْ هذا حتّى الآن؟ ما الذي تغيّر؟! هنا يجبُ على الإنسانِ أن يختبرَ نفسه، فهذه عبارة عن امتحانات.

لو كنتَ في ذلك العالم، فإنّ من يذهبُ إليه يطّلع على المصالح، طبعًا إلى حدٍّ ما. عندما يذهبُ إلى ذلك العالمِ يرى ويقول: «آه، عجيب! المجيءُ إلى هنا... يا إلهي، أين كنّا؟». يقولون إنّ الطفلَ حين يكونُ في بطنِ أمّه، لا يريدُ أن يخرج، بل يقول: «يا لهُ من مكانٍ جيّد ودافئ وناعم! فطعامُنا يصلُنا، ولا توجدُ بطاقاتُ تموين، والفيضُ دائم». فدمُ الأمّ يصلُ إلى الطفلِ باستمرار، فيعتادُ على تلك البيئة. ليس له عينان، مسكينٌ لم يرَ شيئًا، عيناهُ كانتا في ظلامٍ دامس[1]﴿ثَلَٰثٖ تُمَلُظ يفِ﴾. لا يريدُ الخروج. وحين يحلُّ الشهرُ التاسع، يُقال له: «يا سيّدي، اخرجْ، لتنظر ما هي الأخبار؛ فهنا سماءٌ وأرضٌ وأصدقاءٌ وأقارب». فيقول: «لا، هذا المكان جيّد». ومهما قيل له، فإنّ الملائكةَ ترى أنّه لا فائدة من ذلك؛ لأنّه لا يخرج؛ فيتقدّمونَ ويأخذونهُ من أذنه ويضربونهُ ضربةً ويقولون له: «اخرجْ». ويقولون في الروايةِ إنّ البكاءَ الذي يبكيه الطفلُ بعد خروجه هو بسبب تلك

---

1. ٦ تيلآا (٣٩) رمزلا ةروس

الضربة التي تلقّاها سابقًا. بعضهم لا يخرجون أيضًا فيصلُ الأمرُ إلى الجراحة، وكأنّ ضربَ الملائكةِ لم يكن مجديًا. كانوا يقولون إنّ الجنَّ في ذلك الزمانِ كان يفرُّ من "بسم الله"، أمّا جنُّ هذا الزمان، فحتّى لو قرأتَ آيةَ الكرسيّ فإنّه يقفُ ولا يتحرّك!!

قضيّتُنا نحنُ هي كذلك. فنحنُ أيضًا في هذه الدنيا ننظرُ إلى أنفسنا ومصالحنا وأوضاعنا، ونتخيّلُ أنّ الأمرَ هو هذا. ولكن لو ذهبنا إلى ذلك العالمِ وانفتحت أعينُنا هناك، فهل كنّا سنريدُ لأطفالنا أن يبقوا في هذه الدنيا، أم لا؟ كنّا سنقول: «كلاّ! يا إلهي، أرسلهُ ليأتي، ليأتي إلينا هنا». إذن، فما علّةُ طلبِنا للشفاء؟ إنّها من أجلِ أنفسنا، لأنّنا نريدُ أن نأنسَ بذلك المريض، ولا ننظرُ أبدًا إلى مصلحته، وماذا قدّر اللهُ له؛ فلعلّ مصلحتهُ في الارتحال إلى ذلك العالم، فلا توجد أيّة مشكلة في موته. لكن، لأنّنا في هذه الدنيا، ونريده أن يأنسَ بنا، ويكونَ مأنوسًا بنا، ونكونَ حوله، فإنّنا نقول: «يا إلهي، اشفهِ»، فننذرُ، ونقيمُ الموائد، ونفعلُ كذا وكذا. فيقولُ الله تعالى:

«يا عزيزي! أنتَ ترى جانبًا واحدًا من المسألة، وتُشاهد جزءًا يسيرًا من كُلٍّ كبير. مصلحةُ هذا الشخصِ نفسه هي في الرحيل». فنقول: «لا يا إلهي، يجبُ أن يبقى...». «حسنًا جدًّا، سنبقيه، ونأخذُك أنت». واحدٌ من هذين الاثنين. فنقول: «يا إلهي، لم تنجحْ خطّتنا، هذا الإلهُ لا يريدُ أن يتوافقَ معنا». حينها نبدأُ بالدعاء: «يا إلهي، افعلْ كذا، وافعلْ كذا».

ضرعأف ايندلا هتنغأ يذلا كلاسلا ةّصق

ِموحرملاب ِةلصى لع ناك ،الله همحر ،انبر اقأ ُدحأ **ةّملاعلا** ومن تلامذته. وطبعًا، أصبحَ تلميذًا له مرّتين أو ثلاثًا ثمّ انفصل عنه؛ أي أنّه أصبحَ سالكًا، واستقال مرّتين أو ثلاثة تقريبًا. فكلّما ساءت أوضاعهُ قليلاً أصبحَ سالكًا، وعندما تتحسّن أوضاعهُ يستقيل. حتّى جاء في المرّةِ الأخيرة، وهي الثالثة، وقال: «أنا كذا وكذا، وأراكَ كذا، وأنتَ كذا وكذا». وكان **ُةملاعلا ُموحرملا** يضحكُ من كلامه. وقد قال لي لاحقًا: «في نفس الوقت الذي كان يقولُ فيه هذا الكلام، كنتُ أرى أنّه لم يأتِ بعدُ

بصدق، وأنّ فيه أشياءَ أخرى، ولكنّني قبلتهُ على أيّة حال». ولسنواتٍ، كان حالهُ جيّدًا، إلى أن أقبلت عليه الدنيا مرّةً أخرى على ما يبدو؛ وبمجرّد أن أقبلت عليه، نسيَ المرحومَ العلاّمةَ أيضًا، وأصبحَ يحضرُ الجلساتِ مرّةً ويغيبُ أخرى.

فأشدّ ما أزعجَ الرجلَ هو أنّ أحدَ الأيّام، في **المعلّمة الروحية** قال له: «يا فلان، لماذا لا تشاركُ في جلساتنا عصرَ يومِ الجمعة؟». فقال: «يا سيّدي، إذا جئتُ، ستموتُ الدجاجاتُ من الجوع». فقال له **المعلّمة الروحية** بحزم: «كُلْ تجاجدتَ متلفة ولكنّ لا تبقى لا تصفذلا اذهنّ أعم، أيجيردتل تصفنا ملو. تيبنّه كلت دنع نوفّقوتيف، نولصفني مهُضعبف، على حاله، نولصفنيامدنع ـ للهابذايعلاو ـ مهضعبنّكلو، الرحلة، ايندلا هذه يف هُروما نأ، مهللا. خرآ ئيشَ نوحبصي ضِعبب طبترا و، صارت له ثورة لا ئيهنّ، زدهرت، مع ذه، هذه من الأسرارِ التي لا تُقال فصولُه إلى أيجيردتُ نعرفتلا و رُتخبتلا و رُخفلا و رُورغلا تِبترم إلى

نُيكسملا اذهَيلُتبا نأ ىلإ ،روهظلاو زوربلا يفلامكلا ةلأسملا.

أَدجِةقيثوِةلصىلعتناكيتلا ،ُهتدلاوتناك ةملّاعلا ُمِوحرملابوتربطها به قرابة، تتّصلُ باستمرار وتقول: «ادعُ له، افعلْ كذا». وكان ُةملاعلا ُمِوحرملا يقول: «نرجو الله تعالى أن يختار له الصلاح، ويختار له كذا». والقضايا هنا مفصّلةٌ جدًّا، إلى أن توفّيَ ذلك الشخصُ في النهاية. وباختصار، لقد توفّي. كنتُ في الغرفة، فقال لي ةملّاعلا ُمِوحرملا: «اتّصلْ بوالدته، فأنا أريدُ أن أقدّمَ لها التعازي». كان ذلك في أواخرِ عمرِ نكاو ،اهعمتّدحتيأدبف ،اهبانلصّتا .ةملّاعلا ِمِوحرملا فتاهلاىلعلاقيامًمأئيشُمهفأنكاملي ّنأعمـأحضاو يفو .نيديدشأنزحوأعزجرُهظُتتناكُهتدلاو ّنأ ـ ةملّاعلا ُمِوحرملا اهركذ يتلا لِمجلا ىدحإ، قال: «فلانة، هل كنتِ سترضين لو كان ابنُك حيًّا ويعصي الله، أم أنّكِ راضيةٌ الآن وقد رحلَ عن الدنيا، وإن شاء الله يكونُ محلَّ غفرانِه ورحمته؟ أيُّ الأمرينِ

تريدينه؟». لم تستطعْ أن تقولَ له شيئًا بعد ذلك. وكما بدا، قال لها: «اعلمي أنّه لو كان حيًّا لما كفَّ عن معصيةِ الله، فكانت مصلحته في أن يأخذهُ الله تعالى».

بعد هذه المضمضة، في يومٍ من الأيّام، كان **المرحومُ الملاعبةُ** جالسًا في الصالة يشاهد التلفاز، وكانت أمّه تجلس بالقرب منه، وكان أخوه الأصغر يلعب بالقرب منهما، وكانت أخته الكبرى في المطبخ تعدّ الطعام، وكان أخوه الأكبر في غرفته يستذكر دروسه. وفجأة سقط **المرحومُ الملاعبةُ** على الأرض، وبدأ يتلوّى ويتقيّأ، فأسرعت أمّه إليه، وحاولت أن تساعده، ولكنّه فارق الحياة بين يديها. وبعد دقائق قليلة، وصل الإسعاف، وحاول المسعفون إنعاشه، ولكنّ محاولاتهم باءت بالفشل.

وبقي معهنّ حوالي نصفِ ساعةٍ أو ثلاثةِ أرباعِ الساعةِ وتحدّث معهنّ، ثمّ عاد. وكان صهرُ ذلك المرحومِ حاضرًا في ذلك المجلسِ أيضًا. فلمّا عاد، كان غارقًا في التفكير ورأسهُ مطأطئ. وبعد فترة، رفع رأسهُ وقال: «عجيبٌ جدًّا، عجيبٌ جدًّا، عجيبٌ جدًّا. لا يستطيعُ الإنسانُ أن يدركَ مصالحَ اللهِ يا سيّدي. كنتُ أفكّرُ في أنّه

لو كان هو حيًّا، لما انعقد مجلسُنا هذا الليلةَ أبدًا. عجيبٌ جدًّا». هل هذا واضح؟!

وحينها، نأتي نحنُ، وننظرُ في الأمورِ من نافذتنا الخاصّة، ومن تلك الدائرةِ الضيّقةِ لفكرنا الناقص، ونبدأُ بالإصرار والإلحاح، ونُتعبُ الناس: «يا سيّدي، ليكنْ كذا، يا سيّدي، ليكنْ كذا، ليكنْ الدعاءُ هكذا». لا يا سيّدي! ليأخذِ الإنسانُ المسألةَ ببساطةٍ ويوكلَها إلى الله، وليكنْ في ضميره ونيّته مصلحةُ الله.

...ءاعدلابَنورومأمُنحن ،ةهجنم ؟لعفذ اذامنذإ هيلعو هلآو انّيبنىلعىسوم ةّيبنىلاعتُاللهُبُطاخي [1]«كِمامَعطَحْلِمىَّتحيِنْلُسد ،ىَسوُمامهِ :ًلائاقملاسلا. وكان عليه السلام قد مرضَ، ولم يتناولْ الدواء، مُنتظِرًا أن يشفيه الله. فقال له تعالى: «لو جلستَ هكذا إلى يوم القيامةِ لما شفيتُك. فلماذا وضعتُ حكمتي في هذه النباتات؟ انهضْ واذهبْ وكُلْ من هذه الأعشابِ

---

1. ١٣٤ ص ،يعاسلا حاجنو يعادلا ةّدع

«{مهلاسلا هيلعىسوميلإىلاعتاللهىحوأاميفو**يا موسى، سلني كل ما تحتاج إليه حتّى علف شاتك وملح عجينك**».

لتُشفى». وتناول هذه العقاقير؛ أي النباتاتُ الطبيّةُ التقليديّة؛ إذ لم تكن هناك كبسولاتٌ وبنسلين في ذلك الوقت. أتذكّرُ أنّه حينما كنّا أطفالاً ونمرضُ وترتفعُ حرارتُنا، كان ارتفاع حرارتنا مصيبة، ومصيبةُ الأدويةِ التي كان يعطينا إيّاها والدي مصيبةٌ أخرى. لا أراكم اللهُ يومًا سيّئًا! فكانوا يعطوننا مغليّ الأعشاب.. هل شربتموهُ من قبل؟ لا بدّ أنّ كبارَ السنّ قد شربوه. كان مرًّا، وسيّئ الطعم، وكنّا نشعرُ بالغثيان وننسى حرارتَنا. فعندما ترتفعُ حرارتُنا، كنّا نقول: «لقد ابتُلينا مرّةً أخرى بمغليّ والدنا». أتذكّرُ، ولن أنسى أبدًا، أنّني عندما جئتُ إلى قمّ في السابعة عشرة من عمري، أُصبتُ بالحمّى في الشتاء الأوّل. وطبعًا، لم يكن المرحومُ الوالدُ بجانبي ليعطيني مغليّ الأعشاب، فقلتُ في نفسي: «الحمدُ لله، أُصبتُ بحمّى لذيذة بدون مغليّ أعشاب». تناولتُ بعضَ الأقراص؛ وبعد أن ذهبتُ وقصصتُ عليه الأمر، ضحكَ حتّى سقطَ على ظهره. قلتُ له: «يا سيّدي، لقد

تخلّصنا من مغليّ أعشابك حينما ذهبنا إلى قمّ». فالآن، أصبحت هناك حقنٌ وكبسولاتٌ وأقراصٌ.

نعم! هكذا يخاطبُ اللهُ حضرةَ موسى عليه السلام. ولدينا كلّ هذه الآيات. فماذا يجبُ أن نفعل؟ مع الانتباه إلى ما سبق، أظنُّ أنّ الرفقاءَ قد فهموا الموضوع: إنّ اللهَ يحبُّ أن يطلبَ منهُ عبدُهُ المؤمن. لكن، يجبُ علينا في عينِ الدعاءِ الذي نطلبهُ منه، أن نجعلَ محور النيّةِ والقلبِ والفكرِ يدور حول اختياره هو. «إلهي، نحنُ نريدُ هذا، ولكنّكَ أعلمُ بمصلحتنا منّا. إلهي، نحنُ نريدُ هذا، ولكنّكَ تعلمُ ما هو خيرٌ لنا منّا. إلهي، نحنُ نريدُ هذا، ولكنّكَ أعلمُ بمآلنا. إلهي، نحنُ نريدُ هذا، ولكنّ اختيارَكَ يرجحُ على اختيارنا». لا تفقدوا هذه المحوريّةَ أبدًا.

تحبصأ دقَةعاسلا نّأ ودبيو ...لمأذ ،الله ءاشن إ
.اًريثك تُقولا رّخأت دقل ،اًنسح ؟كلذك سيلأ ،ةعساتلا
هئدابمبرَ ثكأفرَ ثكأ ـىلاعتءاشنإ ـُالله انرَّصبينأ وجرن
ّصخيا ميفملاسلا مهيلعِتيبلا لِهأ نعدرو امبوِثّقحلا
،لئاسملا َهاجتا هلمحنيتلا ِتآيناوِهبلطو هيلإِهّجوتلا

وأن يرضّينا بما يقدّرهُ لنا ويختارهُ، وأن يحقّقَ فينا

اختيارَهُ وتقديرَهُ بحلاوةٍ وسعادةٍ وبهجة.

اللهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ